العلوية مريم بنت السيد هادي الصدر

٠٠٠٠ – ١٣٤٧هـ

٠٠٠٠ – ١٩٢٩م

العلوية مريم بنت السيد هادي بن السيد محمد علي، الصدر.

ولدت في الكاظمية، ونشأت في بيت العلم والتقى والعبادة. وتربّت في ظل أبيها السيد الهادي، وأخويها السيدين الحسن والحسين.

قال السيد علي الصدر: "كانت من النساء الكاملات العالمات، ذات عقل راجح، ورأي ثاقب، قلّ ما يوجد في النساء مثلها، وهي مصداق قول الشاعر:

فلو كنَّ النساء كمن وجدنا لفضّلت النساء على الرجال[١]

ومن خصائصها انها كانت تنظم الشعر باللسان الملحون في عزاء الحسين، وسائر وفيات الأئمة التي تقام في دارهم. وقد استمرت على ذلك أربعين سنة، فلو قلت ان ما نظمته من القصائد في عداد الألوف، لم يكن مبالغة".

ترجمها السيد علي بن السيد محمد صادق الصدر في أعلام آل الصدر[٢]، فقال: "كانت تجمع بين العلم والأدب والشعر، وكانت المرجع للنساء في مسائلهن الشرعية، تجيب السائلات بحسب فتوى أخيها الإمام المرحوم السيد حسن الصدر. وكانت (العروة الوثقى بحواشيها) حسب رأي أخيها، تدور على لسانها كيفما تشاء، مع اطلاعها على آراء الأعلام ألآخرين".

سألَتْ – مرة– ابن أخيها عن كتاب كان يقرأه، فقال لها انه (التبصرة)، فقالت له:

هذا كتاب التبصره به المعاني مبهره
أبدي به وأرتجي من الإله المغفره

وسارت في النظم على هذا المنوال، على سبيل الارتجال، حتى بلغت (١٦) بيتاً.

---

[١] البيت للمتنبي، وهو من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة الحمداني. وصدر البيت على النحو الآتي: (ولو كان النساء كمن فقدنا).

[٢] آل الصدر: ٥٦–٥٨.

كتبت في صدر إحدى رسائلها إلى أرحامها في كربلاء:

تـــذكّرت أيامـــاً سُـــويعات وصـــلها بنـــور التصـــافي أســـفرت ولياليـــا
تجلّـــت بأقمـــار الحبيـــب وأســـفرت بشـــمس علاهـــم غـــرّة العـــيش صـــافيا
فكـــدت لشـــوقي أن أطـــير لحـــيّهم وللوجـــد لكـــن كيـــف والجســـم باليـــا
جفا الجفن من عيني الكرى وتطافحت غـــدائر دمعـــي أحمـــر اللـــون جـــاريا
رمـاني النـوى سـهماً أصـاب حشاشـتي ومنـــه فـــؤادي بـــين جنـــبيّ داميـــا
هجـــرت لذيـــذ العـــيش بعـــد فـــراقكم وحـــرقتكم كـــالجمر للقلـــب ســـاليا

توفيت في الكاظمية – على أثر عملية جراحية– عصر يوم الجمعة السابع عشر من شوال سنة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م، وصلى عليها أخوها السيد حسن، ودفنت ليلة السبت، مع أبيها في الحجرة الثالثة يمين الداخل إلى الصحن الكاظمي من باب المراد. ولم تتزوج.

وممن رثاها الشيخ عبد الحسين آل صادق بقصيدة طويلة تليت في مجلس الفاتحة، منها:

دهـت فحنـت ظهـر الهـدى والمكـارم على مثـل حـزّ المرهفـات الصـوارمِ
دهـتْ فمحـتْ أمّ الكتـاب ومزّقـتْ أثيمـــة يمناهـــا صـــحيفة فـــاطمِ
دهـــتْ فطـــوتْ ســـجادة علويّـــة تقطـــع أعنـــاق الـــدجى والعـــزائمِ
دهتْ فخلا المحراب من بنت عصمةٍ مرتلـــة فيـــه قـــراءةَ (عاصـــمِ)
خـلا منبر الإرشـاد من بنت (صدره) تـــزينُ تراقيـــه بلؤلـــؤ ناظـــمِ
خـلا الكـون مـن طهـر المـآزر (مـريم) البتـول وأمّ الفضـل بنـت مـزاحمِ
لهـا النسـب الحضَـان كـلّ ابـن مفخـرٍ إلى جـدّها باب الحـوائج (كـاظمِ)

وكتب السيد عبد الحسين شرف الدين، كتاباً إلى خاله السيد حسن الصدر، يعزيه بوفاة العلوية شقيقته، تاريخه ١١ ذي القعدة سنة ١٣٤٧هـ. ولنفاسة الكتاب وبلاغته، ولاحتوائه على ثروة أدبية ثمينة، نورده هنا بكامله، وهو:

"بسم الله الرحمن الرحيم، إنا لله وإنا إليه راجعون، السلام على رسول الله وأوصيائه أسوة الخلق، وعزاء أهل الحق ورحمة الله وبركاته.

مولاي وليّ النعمة، وأسوة هذه الأمة، قدوة أولي البصائر، وعزاء كل محتسب صابر، الخال الأعظم، والصراط الأقوم، آية الله في العالم، ونعمته على بني آدم. ومالكتي رقي خالتيّ الملكتين المعظمتين، وبقية الميامين من آل طه وياسين.

أدام الله – يا سادتي– بقاءكم، وأحسن عزاءكم، وجعلني فداءكم ووقاءكم. فاجأتنا جريدة النهضة العراقية، بنبأ الروحية الانسية، بضعة الرسول وعذرائه (مريم) البتول، شرف الصيانة، ومجد العفاف والحصانة، عقيلة الأئمة، وجليلة هذه الأمة.

نبأ أوجف القلب، وأطاش اللب، ونازلة أرعشت الأيدي، وزلزلت الأقدام، ورزية طارت بها النفوس، وارتجفت لها القلوب. أعولت بها العلويات الخفرات، فرنّت لهن المؤمنات رنين الثاكلات، يا لها مصيبة أفاضت الشؤون، وفجرت منا العيون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله تحتسب بقية الشرف، وتلية السلف، وتوأم الإيمان، وصفوة الرضوان. شمس هدىً أظلمت آفاقنا بكسوفها، ومشكاة هداية أدجنت سماؤنا بخسوفها، وصحيفة هدى للمؤمنات العابدات، وفرقان رشد للقانتات المتبتلات. يا ضيعة العقائل من ربات الحجال، نِطْنَ بها ثقتهنَ، وأوكلن إليها أزمّتهن، فسلكت بهن سبيل القصد، وبصّرتهن مواقع الرشد، حتى إذا لاحت غرّة الهدى، وأشرقت لهن نور اليقين، إختُلِجت (وا أسفاه)، فإذا هن في ليل مظلم، وشك مريب. يا لهفة البائسات من الأيامى وأمهات اليتامى، ألانت لهن أعطاف رحمتها، ووطّأت لهن مهاد رأفتها، فتقيّلن أعطاف الراحة، وتفيأن ظلال الدعة، وهن الآن مهدودات القوى، محلولات العرى.

يا حسرة الزائرات والوافدات، تقبل عليهن بانبساطها، وتسترسل إليهن بأنسها، تومض لهن عن ثغر فضّي، فتفتر عن مثل حب الغمام. يا وحشة أهلي، ويا دهشة كهلي، ويا ثكل تلك الملاك الأنسية الكروبية القدسية، ويا تغيّض تلك (البركات) المحمدية. يا كسرة العقائل في مآتم المعصومين المظلومين (عليهم السلام)، من يقوم مقامها في نثرها ونظامها، وسلوتها وكلامها، وقعودها وقيامها، وحنينها وأنينها، وعويلها ورنينها؟ يا وحشة الأسحار، من يتبتل في ظلمتها، ومن لناشئة الليل وسُنتها، ومن للعشي والابكار، ومن للأوراد والأذكار، ومن للصيام والقيام، مَن للحلال والحرام؟

أسفي على التبر المسبوك من كلامها، والدر المرصوف من نظامها، أسفي على الطلعة الأنسية، والمحيا الوضاح، والنفس الوقورة، والطبع الشريف، والمخبر الكريم، والخلق العظيم. أسفي على العطف واللطف والحنان، أسفي على الفضل والنبل والإحسان.

جاشت غصص الهموم في صدري، فقمت مولهاً مدلهاً هائما في مفاوز الأحزان، فوقفت على ضريح النائية (والدتي)، أسقيه شآبيب عيوني، وأروي عنبره الداري من وابل جفوني، فأعولت (وأم فخر الدين ثكلى إلى جانبي)، فناديت أماه يا أماه، ماتت الشقيقة الشفيقة مريم، ونفض صنوك الإمام أبو محمد يده من تراب قبرها، فهو اليوم حزين. وهل تدرين ما جرى على العلويتين الملكتين، وسائر العلويين والعلويات، أوليائك وأحبائك من جراء هذه المصيبة.

أماه يا أماه أتذكرين الحال والشمل مجتمع ، والشعب ملتئم، والدار جامعة، تشرق بتلك الأنوار، آناء الليل وأطراف النهار. أواه يا أماه من يوم جدي الأواه، وحسرتي لجدتي، ولوعتي لذات العطف واللطف أم المهدي خالتي، وحزني المؤبد على أحمد وأبي أحمد.

أما أنا يا أماه، ومريم العذراء، رهن البلاء، أو يختار الله لي داركما. نبت بك البلاد، وضرب الدهر بين مثواك ومثوى أولئك الأمجاد. يا أماه قوضت مريم عقيلة المكرمات، وارفضّت محاريب العابدات، وانفضّت اسطوانات الخاشعات. يا أماه ان (ملكتكم) فارقت تربها، ولازمت كربها، حتى تلقى ربها، ليتني مت قبل هذا.

وهنا تكلمت (قدس الله سرها) من غير جهات النطق، سمعتها باذن عقلي تقول: خفّض عليك، نفّس الله كربتك، ونهنِه عن وجدك، كشف الله عنك غمتك، وتعزَّ يا بني بعزاء الله، وتأسَ برسول الله (صلى الله عليه وآله)، واعلم بأنكم مغتبطون محبورون بوارف ظل خالك الأعظم، آية الله في أرضه، ووليه في بسطه وقبضه، فلا غضاضة ولا وحشة، ولا همّ ولا غمّ، ولا بأس عليكم مادامت الأرض به مشرقة، والأيام بنعمة وجوده مونقة، والدين والدنيا مكلوئين بجميل رعايته، ملحوظين بجميل عنايته. به وبالغر الميامين من سادة آل طه، وأعلام آل ياسين، يحسن العزاء، أدام الله لهم البقاء.

على اني وخالتك اليوم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، قد تبوأنا الأرائك في أعلى عليين، واحتفلنا بخالتك في دار جنات النعيم، وجدنا بها برد السرور في أفئدتنا، وجذل

الحبور والابتهاج في أنفسنا، وهي قد قرت بنا عينا في مستقر رحمة الله. على مَ يا ولدي هذا الوجد، ونحن في دار الخلد، على انك صائر إلينا عن قريب، فنحن إليك شائقون، ولقدومك منتظرون، إنا لله وإنا إليه راجعون".